أصَبْتُ بَنِيّ منكِ ونِلْتِ منّي
مِنَ اللّذّاتِ والحُلَلِ الغَوَالِي[١]

هُمُ خَيْرُ حيٍّ مِن مَعَدّ

يمدح سنان بن أبي حارثة المرّي:

[من الطويل]

صَحا القلبُ عن سَلْمَى وقد كاد لا يسلُو
وَأقْفَرَ من سَلْمَى التّعانيقُ فالثّقْلُ[٢]
وقد كنتُ مِن سَلْمَى سِنينَ ثَمانياً
على صِيرِ أمْرٍ ما يَمُرُّ وما يَحْلُو[٣]
وكنتُ إذا ما جِئتُ يَوْماً لحاجَةٍ
مَضَتْ وأجَمّتْ حاجةُ الغدِ ما تخلُو[٤]

---

(١) إشارة إلى أولاده من أمّ أوفى وفقده لهم، وذكريات الأيام الخوالي.
(٢) التعانيق والثقل: إسما موضعين. ومعنى البيت، أن قلبه أفاق عن حب سَلْمَى لبعدها منه، وقد كان لا يفيق لشدة تعلّقه بها.
(٣) صِيْر أمر: أي صيرورته ومنتهاه. ما يَمُرّ: من المرارة التي تأتي باليأس. وما يحلو: من الحلاوة التي تأتي بالأمل والرجاء. والمعنى، أنها ما كانت تجافيه فيحمله ذلك على اليأس، ولا كانت تواصله وتُرضيه فيهون عليه أمرها.
(٤) أجمّت: دَنَتْ وحان وقوعها. والمعنى العام للبيت، هو عدم خلوّ الإنسان من حاجة ما طالت مدته، وأنه كلما نال حاجة تطلعت نفسه إلى أخرى في مستقبل الأيام.

وكُـلُّ مُـحِـبٍّ أحْـدَثَ الـنّـأيُ عِـنـدَهُ
سُـلُـوَّ فُـؤادٍ غَـيـرَ حُـبّـكَ مـا يَـسـلُـو (١)
تَـأَوّبَـنِـي ذِكْـرُ الأحِـبّـةِ بَـعـدَمـا
هَـجـعـتُ ودونـي قُـلّـةُ الـحَـزْن فـالـرّمْـلُ (٢)
فـأقـسَـمْـتُ جَـهـداً بـالـمَـنـازِلِ مـن مِـنًـى
ومـا سُـحِـقَـتْ فِـيـه الـمَـقَـادِيْـم والـقَـمْـلُ (٣)
لأرْتَـحِـلَـنْ بـالـفَـجْـرِ ثـمّ لأدأبَـنْ
إلـى الـلّـيْـلِ إلّا أنْ يُـعَـرّجَـنـي طِـفْـلُ (٤)
إلـى مَـعـشَـرٍ لـم يُـورِثِ الـلّـؤمَ جَـدُّهُـمْ
أصـاغِـرَهُـمْ، وكـلُّ فـحـلٍ لـه نَـجْـلُ (٥)

---

(١) يريد القول: إن كلّ محبّ إذا نأى عن حبيبه سلا، وأمّا أنا فلست كذلك.

(٢) تأوّبَني: من التأويب وهو سير النهار كلّه إلى الليل، وتعني هنا: أتاني مع اللّيل. القلّة: بمعنى القمّة وهي أعلى الجبل. الحَزْن: ما غلظ وارتفع من الأرض. والمعنى العام، أن بينه وبين الأحبة مسافات بعيدة من الصِّعاب.

(٣) مِنًى: موضع في مكة المكرّمة. سُحِقت: حُلِقت. المقاديم: مفردها مُقْدِم أو مُقَدَّم، والمراد، مقاديم الرؤوس. القمل: المراد هنا، الشعر الذي فيه القمل.

(٤) أدأب: أي أجدّ في السير. يعرّجني: بمعنى يحبسني عن السير. الطفل: المراد، هو أن تلقي الناقة ولدها بسبب التعب فتحبِسُه لكي يرعاها ويتدبّر أمرها.

(٥) إلى معشرٍ: أي لأرتحلَنْ إلى معشر. المعنى العام للبيت، هو أنه مرتحل إلى قوم أورثهم جدّهم ما يشبهونه به من كريم الخصال. والنّجل تعني هنا: الوَلَد والنّسْل.

تَـرَبّـصْ، فـإنْ تُـقْـوِ الـمَـرَوْرَاتُ مِـنـهُـمُ
وداراتُـهـا لا تُـقْـوِ مِـنْـهُـمْ إذاً نـخْـلُ[١]
فـإنْ تُـقْـوِيَـا مِـنْـهُـمْ فـإنّ مُـحَـجَّـراً
وجِـزْعَ الْـحِـسـا مـنـهُـمْ إذاً قَـلّـمَـا يـخـلُـو[٢]
بـلادٌ بـهـا نـادَمْـتُـهُـمْ وأَلِـفْـتُـهُـمْ
فـإنْ تُـقْـوِيَـا مِـنْـهُـمْ فـإنّـهُـمـا بَـسْـلُ[٣]
إذا فَـزِعُـوا طـاروا إلـى مُـسْـتَـغِـيـثِـهِـمْ
طِـوالَ الـرّمـاحِ لا ضِـعـافٌ ولا عُـزْلُ[٤]
بِـخَـيْـلٍ عَـلَـيْـهـا جِـنّـةٌ عَـبْـقَـرِيّـةٌ
جَـديـرونَ يَـوْمـاً أنْ يَـنـالُـوا فـيَـسـتَـعـلُـوا[٥]

(١) تَرَبَّصْ: أي تريث في الأمر ولا تعجل في الذهاب. تُقْوِي: تُقْفِر أو تخلو. المَرَوْرات: الأراضي، وهنا تعني اسم موضع. داراتها: المقصود دارها. نخل: بستان، أو أرض.

(٢) مُحَجَّر وجِزْع الحِسا: إسما موضعين. والجزْع: جانب الوادي. والحِسا: سهل من الأرض يُستنقع فيه الماء.

(٣) بَسْل: حرام. والمعنى، أن هذين الموضعين إذا خَلَوا ممن نادمهم من هؤلاء القوم فهما حرام عليه لا يقربهما.

(٤) فزعوا: أغاثوا. المستغيث: الذي يطلب الغوث أو النجدة والعون. العُزْل: الذين لا سلاح معهم.

(٥) المعنى، أن هؤلاء القوم يسرعون إلى نجدة المظلوم بخيل عليها فرسان مثل الجنّ في إقدامهم. جنّة عبقرية: أي من جِنّ عَبْقر. وعبقر: اسم أرض أو وادي. جديرون: خليقون. يستعلوا: بمعنى يعلوا ويظفروا.

وإنْ يُقْتَلُوا فيُشْتَفَى بدِمائِهِمْ
وكانُوا قَديماً مِنْ مَنَاياهُمُ القَتْلُ[١]

عَلَيها أُسُودٌ ضارِياتٌ لَبُوسُهُمْ
سَوابِغُ بِيضٌ لا تُخَرّقُها النَّبْلُ[٢]

إذا لَقِحَتْ حَرْبٌ عَوَانٌ مُضِرّةٌ
ضَرُوسٌ تُهِرّ النّاسَ أنيابُها عُصْلُ[٣]

قُضاعِيّةٌ أوْ أُخْتُها مُضَرِيّةٌ
يُحَرَّقُ في حافاتِها الحَطَبُ الجَزْلُ[٤]

تَجِدْهُمْ على ما خَيّلَتْ هِمْ إزاءها
وَإنْ أفسَدَ المالَ الجماعاتُ والأزْلُ[٥]

---

(١) المعنى، أنهم قوم أشراف إذا قُتلوا رَضِيَ بهم مَنْ قتلهم، لأنه يدرك ثأره ويشتفي بهم. ويريد بقوله: من مناياهم القتل، أي أنهم لا يموتون على فرشهم بل في ساحات القتال.

(٢) عليها: أي على الخيل. أُسُودٌ ضاريات: يعني الفرسان. سوابغ بيض: أي الدروع المصقولة. النبل: بمعنى السِّهام والنِّصال.

(٣) لَقحت: اشتدّت. حرب عوان: أي ليست بأُولى إنما قوتل فيها مرّة بعد مرّة. مضرّة: مُلِحّة. ضروس: بمعنى عضوض أو سيئة الخُلُق. تُهِرّ الناس: أي تجعل الناس يكرهونها. عُصْل: مُعوَجّة، وهنا تعني أنها قديمة وهي مأخوذة من مقولة: إنما يعصل ناب البعير إذا أسنّ أي إذا تقادم في العمر.

(٤) قُضاعيّة: منسوبة إلى قضاعة بن مَعَدّ. مُضَريّة: منسوبة إلى مضر بن نزار بن مَعَدّ. والمقصود أنها حرب منكرة. الحطب الجزل: أي ما غلظ من الحطب، وهذا دليل على شدّة الحرب.

(٥) خيَّلت: شبَّهت وأوهَمَت. هم إزاءها: هم حِذاءها، أي هم الذين يقومون =

يَـحُـشّـونَـهـا بـالـمَـشْـرَفِـيّـةِ والـقـنَـا
وَفِـتـيـانِ صِـدْقٍ لا ضِـعـافٌ ولا نُـكْـلُ(١)
تِـهـامـونَ نَـجْـدِيّـونَ كَـيْـداً ونُـجـعَـةً
لـكُـلّ أُنـاسٍ مِـنْ وَقـائِـعـهـمْ سَـجْـلُ(٢)
هُـمُ ضَـرَبُـوا عَـن فَـرْجِـهـا بـكَـتـيـبَـةٍ
كَـبَـيـضـاءِ حَـرْسٍ فـي طَـوائـفِـهـا الـرَّجْـلُ(٣)
مَـتَـى يَـشـتَـجِـرْ قـوْمٌ تـقُـلْ سـرَواتُـهُـمْ:
هُـمُ بَـيْـنَـنـا فـهُـمْ رِضًـى وَهُـمُ عـدْلُ(٤)
هُـمُ جَـرّدوا أحـكـامَ كـلّ مُـضِـلّـةٍ
مِـنَ الـعُـقْـمِ لا يُـلْـفـى لأمـثـالِـهـا فَـصْـلُ(٥)

= عليها. الأَزْل: الحبس. ومعنى المال هنا: الإبل. والمقصود هو: إن حبس الناسُ أموالهم دون أن تسرح فهم ينحرون، وإذا اشتدّ أمرهم حتى الضّيق فهم يسوسون.

(١) يَحُشّونها: يوقدونها. المشرفيّة: السيوف. القنا: الرماح. النُّكل: الجبناء.

(٢) الكيد: أي أن يكيدوا للعدو. النُّجعة: طلب المرعى. السَّجْل: النصيب. وأصل السَّجْل: الدّلو مملوءة ماء. وتهامون نجديّون تعني أن وقائعهم مقسومة بين أهل تهامة ونجد.

(٣) الفَرْج: بمعنى الثغر، وهو المكان الذي يُخاف منه العدو. حرس: جبل. وبيضاء حرس: أي رأس مستدير طويل في أعلى الجبل شبّه به الكتيبة. في طوائفها: في نواحيها. الرَّجْل: بمعنى الرجّالة.

(٤) يشتجر: يختصم. السروات: مفردها سريّ، وهو السيد الشريف. والمعنى، أنه إذا اختصم قوم حكّموهم بأمرهم نظراً لعدلهم وصحة حكمهم.

(٥) المضلّة: تعني الحرب التي تُضلّ الناس ولا يوجد من يُوقف أمرها. من =

بـــعَـــزْمَـــةِ مَـــأمُـــورٍ مُـــطـــيـــعٍ وآمِـــرٍ
مُـطـاعٍ فـلا يُـلـفَـى لِـحـزْمِـهـمُ مِـثْـلُ[١]

وَلَـــسْـــتُ بِـــلاقٍ بـــالـــحِـــجـــازِ مُـــجـــاوِراً
وَلَا سَـــفَـــراً إلّا لَـــهُ مـــنـــهُـــمُ حَـــبْـــلُ[٢]

بـــلادٌ بـــهَـــا عَـــزّوا مَـــعَـــدّاً وغَـــيْـــرَهَـــا
مَـشـارِبُـهـا عـذْبٌ وأعـلامُـهـا ثَـمْـلُ[٣]

هُـمُ خَـيـرُ حـيّ مـن مَـعَـدٍّ عَـلِـمـتُـهُـمْ
لـهُـمْ نـائِـلٌ فـي قَـوْمِـهـمْ ولـهُـمْ فـضْـلُ

فَـرِحْـتُ بـمـا خُـبّـرْتُ عـن سـيّـدَيـكُـمُ
وكـانَـا امـرأيـنِ كـلُّ أمـرِهِـمـا يَـعْـلُـو[٤]

رَأى الـلَّـهُ بـالإحْـسـانِ مـا فَـعَـلا بِـكُـمْ
فـأبْـلاهُـمـا خَـيـرَ الـبَـلاءِ الـذي يَـبْـلُـو[٥]

= العُقْم: تعني الحروب الشديدة المهلكة، والأصل في العقم ومفردها عقيمة، أي التي لا تلد فضربت مثلاً للحرب المُهلكة. فَصْل: تعني مَنْ يفصل في أمرها.

(١) المراد، أنهم أهل حزم واجتماع على كلمتهم وصحة سياستهم.

(٢) المراد، أن كل من جاور الحجاز أو سافر إليها فله من هؤلاء القوم عهد وذمّة. والحبل: العهد.

(٣) عَزُّوا مَعَداً: غلبوها في العزّ وظهروا عليها. أعلامها: جبالها. ثَمْل: بمعنى يقام فيها أو دار إقامة، وذلك لأنها موضع عزّ وغلبة.

(٤) عن سيِّدَيْكم: المقصود بهما الحارث بن عوف وهرم بن سنان.

(٥) أبلاهما خير البلاء: أي صنع اللَّه تعالى إليهما خير الصّنيع الذي يبتلي به عباده، والإنسان يبلى بالخير والشّرّ.

تَـدارَكْـتُـمـا الأحـلافَ قـد ثُـلّ عَـرْشُـهـا
وذُبْـيـانَ قـد زَلّـتْ بـأقْـدامِـهـا الـنّـعْـلُ[١]

فـأصْـبَـحـتُـمـا مـنـهَـا عـلـى خَـيـرِ مَـوْطِـنٍ
سَـبـيـلُـكُـمـا فـيـهِ، وإنْ أحـزَنُـوا، سَـهْـلُ[٢]

إذا الـسّـنَـةُ الـشّـهـبـاءُ بـالـنّـاسِ أجـحَـفَـتْ
وَنـالَ كِـرامَ الـمـالِ فـي الـجَـحـرَة الأكْـلُ[٣]

رَأيـتُ ذَوي الـحـاجـاتِ حـوْلَ بُـيـوتِـهِـمْ
قَـطـيـنـاً بـهـا، حـتـى إذا نَـبَـتَ الـبَـقْـلُ[٤]

هُـنـالِـك إنْ يُـسـتَـخـبَـلـوا الـمـالَ يُـخْـبِـلـوا
وإنْ يُـسـألـوا يُـعـطـوا وإنْ يَـيـسـرُوا يُـغـلُـوا[٥]

---

(١) تداركتما الأحلاف: أي تداركتماهم بالصلح. الأحلاف: هم بنو أسد وغطفان وطيء. ثلّ: هدم. عرشها: بناؤها. ذبيان: قبيلة الممدوحين. زلّت بأقدامها النعل: إشارة إلى الحيرة والضّلال بسبب حصين بن ضمضم الذي جنى عليهم الحرب وهو منهم.

(٢) يريد القول: لمّا سعيتما في الصلح، فقد أصبحتما من الحرب على خير موطن حيث نلتما الحمد والمنزلة الرفيعة. أحزنوا: وقعوا في أمر شديد. سهل: أي أنتم في رخاء إذا اشتدّ أمرهم.

(٣) السّنَة الشهباء: أي البيضاء من الجدب. أجحفت: أهلكت أو أضرّت. كِرام المال: أي الإبل. الجحرة: المقصود، السّنَة الجحرة أو المجدبة، أي التي تجحر الناس داخل بيوتهم بسبب شدّة البرد.

(٤) القطين: أهل الرجل وحشمه، أو الساكن النازل في الدار.

(٥) يُستَخْبَلوا: أي أن يستعيروا الإبل لشرب حليبها والانتفاع بأوبارها. يُخْبلوا: يتكرّموا وقت الشدَّة. يُيسروا: يقامروا بالميسر. يُغْلوا: يأخذوا سِمان الجزر.

وفيهِمْ مَقاماتٌ حِسانٌ وُجوهُهُمْ
وأنْدِيَةٌ يَنتابُها القَوْلُ والفِعْلُ[١]
على مُكْثِريهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعتريهِمُ
وعندَ المُقِلّينَ السّماحةُ والبَذْلُ[٢]
وإنْ جِئْتَهُمْ ألفَيتَ حَوْلَ بيوتِهِمْ
مَجالسَ قد يُشفَى بأحلامِها الجَهْلُ[٣]
وإنْ قامَ فيهِمْ حامِلٌ قال قاعِدٌ:
رَشَدْتَ فلا غُرْمٌ عليكَ وَلا خَذْلُ[٤]
سعَى بعدَهُمْ قَوْمٌ لكَيْ يُدرِكوهُمُ
فلَمْ يَفعَلُوا ولم يُليموا ولم يألُوا[٥]
وما يَكُ مِنْ خَيرٍ أتَوْهُ فإنّمَا
تَوارَثَهُ آباءُ آبائِهِمْ قَبْلُ[٦]

---

(١) المقامات: المجالس. ينتابها القول والفعل: أي يُقال فيها الجميل ويُفعل.

(٢) على مكثريهم: على أصحاب المال الموسرين. مَنْ يعتريهم: مَنْ يطلب منهم. وعند المقلّين: أي عند الذين لا يملكون المال. السماحة: بمعنى الجود. البذل: العطاء.

(٣) المراد، أنهم أهل حلم ورأي يسترشد منهم الجاهل فيما أشكل من الأمور.

(٤) الحامل: الذي يحمل الحمالة، والحمالة هي الدِّية والغرامة. القاعد: الذي لم يحمل الحمالة. والمعنى العام للبيت، هو إن تحمّل أحدهم حمالة فلا يُردّ عليه فعله ولا يُسفّه رأيه، بل يقول له القاعد: رشدت، فلا نخذلك أو نُحمّلك الغُرم.

(٥) لم يُليموا: أي لم يأتوا بشيء يلامون عليه. لم يألوا: لم يقصّروا.

(٦) توارثه: يعني ورثه كابر عن كابر وهو دليل على مجدهم القديم.

وهَـلْ يُـنْـبِـتُ الـخَـطّـيَّ إلّا وَشِـيـجُـهُ
وتُـغـرَسُ، إلّا فـي مَـنَـابِـتِـهـا، الـنّـخْـلُ[١]

كأنّكَ تُعطِيهِ الذي أنْتَ سَائلُه

يمدح حصن بن حذيفة بن بدر:

[من الطويل]

صَحـا الـقَـلـبُ عـن سَـلْـمَـى وأَقـصـرَ بـاطِـلُـهْ
وَعُـرّيَ أفْـرَاسُ الـصِّـبَـا وَرَوَاحِـلُـهْ[٢]
وأقـصَـرْتُ عَـمّـا تَـعـلَـمِـيـنَ وسُـدّدَتْ
عـلـيّ سـوَى قـصْـدِ الـسّـبـيـلِ مَـعـادِلُـهْ[٣]
وقـالَ الـعَـذارَى: إنّـمـا أنـتَ عَـمُّـنـا
وكـانَ الـشّـبـابُ كـالـخَـلـيـطِ نُـزَايِـلُـهْ[٤]

---

(١) الخَطّي: الرّمح. الوشيج: القنا الملتف في منبته، أو الشجر الذي تصنع منه الرماح. والمعنى العام للبيت، هو أنه كما لا تُنبت القناة إلّا القناة، ولا يُغرس النخل إلّا في الموضع الصالح، فكذلك الكرام لا يولدون إلّا في المنبت الكريم.

(٢) أقصر: كفّ. والمعنى العام للبيت، هو أن قلبه صحا عن حب سَلْمَى وكفّ عن لهوه وصباه، وكذلك ترك الصّبا وترك الركوب فيه.

(٣) عمّا تعلمين: أي عمّا تعلمين عني من أيام الصّبا واللّهو. سُدِّدَتْ عليّ معادلُه: أي أنه كان يعدل عن طريق الصواب إلى طريق الصّبا واللّهو، ثم كف عن ذلك فرجع إلى طريق الحق بعد أن سُدِّدَتْ عليه مذاهب الباطل.

(٤) العذارى: الأبكار. الخليط: الصاحب. نزايله: نفارقه.